العلاقات الزوجية

والأسرة المسلمة

أ. د. فؤاد محمد موسى

الألوكة
www.alukah.net

العلاقات الزوجية
والأسرة المسلمة

أ.د. فؤاد محمد موسى

المقال الأول: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} [الأعراف: 189]

إلى كل زوجة مؤمنة:

استوقفَتْني كلمةٌ في القرآن الكريم، تعجَّبتُ لروعتِها وجمالها ودقَّتِها وإيحاءاتها التي تفوح بالرِّقَّة واللُّطْف في معانيها، إنه كلام الله الذي يخاطِبُنا به، فيقِف المؤمنُ أمامَه مندهشًا من كثرة كنوزه وهداياته، فسمَّاه الله رُوحًا ونُورًا، وهُدًى وفرقانًا، وشفاءً وذِكْرًا، ورحمةً وبركةً، وهي تنعكس تلقائيًّا على مَن يعيش مع القرآن، ويشرب من معينه، ويسير في ظِلِّه.

هذه الكلمة {لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}، فبتدبُّر هذه الكلمة يجد أن الذي جعل ذلك هو الله {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} [السجدة: 7]، جعل هذه الخصيصة في تكوين الزوجة، جعل في فطرتها ما يجعل زوجها يميل إليها، ليسكن الزوج إلى زوجه، ويستريح إليها.

والأصل في التقاء الزوجين هو السَّكَن والاطمئنان، والأُنْس والاستقرار؛ ليظل السكون والأمن، هذه الفطرة في تكوين الزوجة، هو مكمن عبادتها لله، في استخدام ذلك مع زوجها عبادة لله، فهو فرض عليها وليس تفضُّلًا على زوجها.

وإني لأتعجَّبُ كيف يجعل الله للزوجة هذا العطاء العظيم، ثم نجد الكثيرات منهن يُكْثِرْنَ الشَّكْوى من أزواجهن لسوء معاملة الزوج لزوجته.

فهل سألت الزوجة نفسها: لماذا يحدث ذلك؟ وعندها من فضل ربِّها ما تُسعِد به حياتها وحياة زوجها، ورِضا ربِّها بما أعطاها ربُّها من الفطرة، ما يجعل زوجها يسكن إليها من دون مشقَّة وعناء منها،

فهو عطاء الله لها؛ ولكنها لم تستخدمْه في طاعة ربِّها؛ بتعبيد ما لديها من الفطرة ليسكن إليها زوجها، فعليها أن تُفتِّش في نفسها أوَّلًا قبل شكواها وتبرُّمِها في عشِّ الزوجية.

هل هي شكرت ربَّها على ما أعطاها من الفطرة ما يسكن إليها زوجُها، وكانت في هذا العشِّ البَلْسَم والرِّقَّة والحنان والأنوثة التي تريح به زوجها، ويسكن لها كما يسكن الطفل إلى حِجر أُمِّه.

وإني لأتعجَّب من صنيع أم سُليم، وتعبيدها فطرتها ليسكن إليها زوجها في أصعب المواقف على الأم (موت ابنها، ووجوده في نفس المكان).

وهذا جزء من صنيعها كما حدَّث به راوي الحديث: "وَمَاتَ الصَّبِيُّ، قَالَ: وَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ، قَالَ: فَسَجَّتْ عَلَيْهِ ثَوْبًا، وَتَرَكَتْهُ، قَالَ: فَقَالَ لَهَا أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، كَيْفَ بَاتَ بُنَيَّ اللَّيْلَةَ؟ قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا كَانَ ابْنُكَ مُنْذُ اشْتَكَى أَسْكَنَ مِنْهُ اللَّيْلَةَ، قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ بِالطَّعَامِ، فَأَكَلَ وَطَابَتْ نَفْسُهُ، قَالَ: فَقَامَ إِلَى فِرَاشِهِ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ، قَالَتْ: وَقُمْتُ أَنَا، فَمَسِسْتُ شَيْئًا مِنْ طِيبٍ، ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى دَخَلْتُ مَعَهُ الْفِرَاشَ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَجَدَ رِيحَ الطِّيبِ كَانَ مِنْهُ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّجُلِ إِلَى أَهْلِهِ، قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ يَتَهَيَّأُ كَمَا كَانَ يَتَهَيَّأُ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا اسْتَوْدَعَكَ وَدِيعَةً، فَاسْتَمْتَعْتَ بِهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا، فَأَخَذَهَا مِنْكَ، تَجْزَعُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، قَلَتْ: فَإِنَّ ابْنَكَ قَدْ مَاتَ".

فمَنْ مِن الزوجاتِ الآنَ تستطيع هذا الصنيع الطيب؟!

اقرأ مقال: (فقه أولويات الزوجة، أُمُّ سُلَيْم أفضل ما تكون الزوجة لزوجها) في هذا الموقع على شبكة الألوكة.

إنها زوجة، وكل زوجة لديها ما لدى أم سليم من فطرة الأنوثة، فقد عبَّدتها لله فسكن لها زوجها.

كما أني أتذكر موقف خولة بنت ثعلبة بن مالك الخزرجية، زوجة أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت، التي أغضبت زوجها ولم يجعله يسكن إليها، فأدركت ذلك، وكان ما كان منها في جِدالها للحفاظ على زوجها، وقد جاء ذلك في سورة المجادلة.

اقرأ هذا المقال في نفس الموقع؛ (الحفاظ على عش الزوجية) {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: 1].

من ذلك نُدرك أن الزوجة إذا استعانت بالله وعبدت فطرتها، لأسعدت نفسها وزوجها، وأرْضَتْ ربَّها بأنوثتها، وأصلح الله لها زوجها، وأصبحا معًا أسرةً طيبةً.

ومع الأسف فإن شياطين الإنس والجن يجرُّون البشرية للهلاك باستخدام هذه الفطرة في غير محلها؛ لذلك يجب على الزوجة أن تُدرِّب نفسها على تحقيق السكينة لزوجها جسميًّا ورُوحيًّا وعاطفيًّا؛ عبادة لله، فيكون لها الأجر العظيم.

لنتذكَّر رسالة رسول الله لرسولة النساء إليه "أسماء بنت يزيد"، التي سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن مكانة المرأة في حضور جَمْعٍ من الصحابة، ((فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَافِدَةُ النِّسَاءِ إِلَيْك، يَا

رَسُولَ اللَّهِ، رَبُّ الرِّجَالِ وَرَبُّ النِّسَاءِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَآدَمُ أَبُو الرِّجَالِ وَأَبُو النِّسَاءِ، وَحَوَّاءُ أُمُّ الرِّجَالِ وَأُمُّ النِّسَاءِ، وَبَعَثَكَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، فَالرِّجَالُ إِذَا خَرَجُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقُتِلُوا فَهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَإِذَا خَرَجُوا فَلَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَنَحْنُ نَخْدُمُهُمْ وَنحْبِسُ أَنْفُسَنَا عَلَيْهِمْ، فَمَاذَا لَنَا مِنَ الْأَجْرِ؟ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَقْرِئِي النِّسَاءَ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُنَّ: إِنَّ طَاعَةَ الزَّوْجِ تَعْدِلُ مَا هُنَالِكَ، وَقَلِيلٌ مِنْكُنَّ تَفْعَلُهُ)).

وهنا لا يفوتنا تذكُّر أم المؤمنين خديجة، وكانت مثالًا للزوجة الصالحة، وقلبًا يفيضُ حُبًّا ووِدًّا، وحنانًا وسَكينةً لرسول الله.

ففي ذلك روى الإمام البخاري في صحيحه: ((دَخَلَ علَى خَدِيجَةَ، فَقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ، فَقالَ: يا خَدِيجَةُ، ما لي؟ وأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، وقالَ: قدْ خَشِيتُ علَى نَفْسِي، فَقالَتْ له: كَلَّا، أبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حتَّى أتَتْ به ورَقَةَ بنَ نَوْفَلٍ)).

لقد كرَّمها الله تعالى إذ قال رسول الله: ((أتاني جِبريلُ، فقال: يا رسولَ اللهِ، هذهِ خَديجةُ قد أَتَتْكَ، معها إناءٌ فيهِ إدامٌ أو طعامٌ أو شَرابٌ، فإذا هيَ قد أَتَتْكَ، فاقرَأ علَيها السَّلامَ مِن ربِّها ومِنِّي، وبشِّرْها ببَيتٍ في الجنَّةِ مِن قَصَبٍ، لا صَخَبَ فيها ولا نَصَبَ))، فمَنْ تُلبِّي قولَ ربِّها: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} [الأعراف: 189]؟!

المقال الثاني: همسة في أذن الأزواج

لقد ساح الشيطان – إنسًا وجنًّا – في بيوت المسلمين، وعمِل فيها عمله الخبيث الذي برع فيه بأساليب مقننة ومحكمة، ومخطَّط لها بدقة متناهية، وعلى مدار الساعة، فهو الذي يعمل على هدم الأسرة من داخلها؛ {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ} [البقرة: 102].

وهذا جليٌّ جدًّا، خاصة في استخدام الشياطين التقنيات الحديثة، ووسائل التواصل بين الأفراد، والمواقع الإباحية التي دخلت كلَّ مكان وفي أي وقت، فوقعت الفواحش، والقتل، وتشريد الأبناء، وتفكُّك الأُسر والمجتمعات.

أيها المسلم، ألم يجعل الله ما يُغنيك عن كل هذه الفواحش؟ {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: 21]؛ فلمَ لا تستخدم ما أحل الله لك والنعمة التي أسداها إليك؟!

فهو الذي خلق لك زوجتك من نفسك، ألَا تستشعر هذا في نفسك، وتتعامل مع زوجتك التي هي منك بهذه الروح والانسجام النفسي الرباني الذي وهبه الله لك؟!

ضَع هذا نُصب عينيك في تعاملك مع زوجتك، وعِش سعيدًا بها، لتشعر بالسكينة إليها، أسعِد نفسك بزوجتك، واذكر نعمة الله هذه؛ قال تعالى: {فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف: 69].

فهو الذي جعل بينكم المودة والرحمة، فأي نعمة هذه؟!

فهل هناك من يهبكما هذه المودة والرحمة إلا الله؟!

أيها المسلم، إن لم تكن هذه المودة والرحمة موجودةً بينكما فالعيب فيك أنت، ففتش في نفسك ولا تلومنَّ إلا نفسك، فالله صادق في قوله: {وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم: 21] {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: 122].

وعلى الزوجة أيضًا أن تُسعد نفسها بزوجها وتسعده بنفسها، وإلا فالعيب فيها.

أيها المسلم، إن لم تجد في زوجتك ما يُرضيك، فعليك بالصبر واحتسب عند الله، فسوف يرضيك بها إذا صبرت عليها، تمعَّن قول الله تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: 19].

تحمَّل أذاها واصبر فسيجعل الله في ذلك خيرًا كثيرًا؛ فإن لم تشعر بذلك فالعيب فيك أنت وصدق الله؛ {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: 122].

أيها الأزواج، لا تهدموا عشكم وسعادتكم في الدنيا بأيديكم، وإني لأتعجب كيف احتفظ نبي الله نوح، ونبي الله لوط، كلٌّ بزوجته لنهاية عمرهما ولم يتفرقا، رغم ما كانت عليه زوجاتهما من الكفر، كما وصف الله ذلك؛ قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ} [التحريم: 10].

فهل تستطيع – أيها المسلم – تحمل زوجتك وتحتسب عند الله الأجر والثواب، ولا تهدم عش الزوجية وتشرد أولادك؟!

أكرر؛ أسعِدوا أنفسكم وزوجاتكم وأولادكم بهذا المنهج الرباني، لا بمنهج شياطين الإنس والجن وارتكاب الفواحش والتعري، وآخر طلعة وآخر نزلة لعارضاتِ أجسامهنَّ التي أكرمهنَّ الله بها، فاستخدموها في معصية الله.

المقال الثالث

عاشروهن بالمعروف؟ وإن لم توجد المودة والحب "ما يغفل عنه الأزواج"

هذه قضية يجب أن يتنبه لها المسلمون جميعًا؛ كيلا يُخربوا البيوت.

إن الكثير من المسلمين يريدون أن يبنوا البيوت على المودة والحب فقط، ومن هنا تنبَع المشكلات الأسرية وتتفاقم؛ فالزوج يريد زوجة تحقق له كل متطلبات الحياة الزوجية بأبعادها الخيالية الرومانسية، وهذا لن يكون في الواقع الذي أراده الله لنا في الدنيا، فهي دارُ اختبار وابتلاء، لا دار نعيم مقيم.

وكذا يفكر الكثير من الشباب، ويبحث في الدنيا عن هذه الأحلام والخيالات ليختار شريكة حياته، فلا يجدها.

لقد قابلت الكثير من هذا الصِّنف من الشباب، الذين قد كبر عمرهم، وخارت قوتهم؛ بحثًا عن هذا الخيال وهذه الأحلام، وقد فقدوا الأمل في الوصول إلى ذلك.

كما قابلت كثيرًا من الأزواج الذين تزوجوا تحت هذا الوهم، فكان خراب بيوتهم سريعًا بأيديهم وبفكرهم غير الواقعي، فلم يستطيعوا التكيف والتعامل مع زوجاتهم.

وهناك من تزوَّج تحت هذا الوهم وحاوَل الاستمرار في زواجه، مطالبًا زوجته بتحقيق هذا الوهم بالضغط عليها، ومعاملتها معاملة سيئة؛ ما سبَّب لها الأذى الكبير، فجعلها كالمعلَّقة.

وهناك من عدَّد زوجاته؛ بُغية الوصول إلى وهمه، مما زاد من مشكلات حياته.

وهناك من تقلَّب في الزواج والطلاق أيضًا؛ بُغية أن يصل إلى حلمه؛ فأرهق نفسه وغيرَه معه.

هذا واقع شاهدته بكثرة في حياة الأسر المسلمة، إنها مشكلة مُسْتَشْرِيةٌ تؤرِّق المجتمع المسلم، ولكن ما الحل لذلك؟

إن الحل وضعه رب هذا الكون وخالقه ومدبره؛ {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف: 54].

قال تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: 19].

هذا هو الحل – أيها المسلم – إن كنت تؤمن بالله.

فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف؛ من الصحبة الجميلة، وكف الأذى، وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، واحتمال الأذى منها، والحلم عن طيشها وغضبها، ومن آداب المعاشرة — أيضًا – أن يزيد على احتمال الأذى منها بالمداعبة والمزح والملاعبة، فطيِّبوا أقوالكم لهن، وحسِّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، وينبغي لكم – أيها الأزواج – أن تُمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن، فإن في ذلك

خيرًا كثيرًا؛ من ذلك امتثال أمر الله، وقَبولُ وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة، ومنها أن إجباره نفسَه – مع عدم محبته لها – فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة، وربما تزول الكراهة، وتخلُفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك، وربما رُزق منها ولدًا صالحًا، نفع والديه في الدنيا والآخرة.

ثم ختم سبحانه الآية الكريمة ببيان أنه لا يصح للرجال أن يسترسلوا في كراهية النساء، إن عَرَضَتْ لهم أسباب الكراهية، بل عليهم أن يُغلِّبوا النظر إلى المحاسن، ويتغاضوا عن المكاره؛ فقال تعالى: {فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: 19].

فالآية الكريمة ترشد إلى حِكَمٍ عظيمة؛ منها: أن على العاقل أن ينظر إلى الحياة الزوجية من جميع نواحيها، لا من ناحية واحدة منها، وهي ناحية البغض والحب، وأن ينظر في العلاقة التي بينه وبين زوجه بعين العقل والمصلحة المشتركة، لا بعين الهوى، وأن يحكِّم دينه وضميره قبل أن يحكِّم عاطفته ووجدانه، فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير، وأحبَّت ما هو بضد ذلك، وربما يكون الشيء الذي كرهته اليوم، ولكنك لم تسترسل في كراهيته سيجعل الله فيه خيرًا كثيرًا في المستقبل؛ قال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: 216].

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يفركُ مؤمن مؤمنة، إن كرِه منها خُلُقًا رضيَ منها آخر))؛ أي: لا يبغضها بغضًا كليًّا يحمله على

فراقها؛ أي: لا ينبغي له ذلك، بل يغفر سيئتها لحسنتها، ويتغاضى عما يكره لما يحب، والفَرْكُ: البغض الكلي الذي تُنسى معه كل المحاسن.

فالإسلام ينظر إلى البيت المسلم بوصفه سكنًا وأمنًا وسلامًا، ويقول للأزواج: {فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: 19]؛ أي: تمسكوا بعقدة الزوجية فلا تنفك لأول نزوة.

فجعل الإسلام لهذه المؤسسة الإنسانية الكبرى جديتها، فلا يجعلها عُرْضَةً لنزوة العاطفة المتقلبة، وحماقة الميل الطائر هنا وهناك.

المقال الرابع

نصائح نبوية للأزواج للتعامل مع زوجاتهم تصحيح فهم الرجال

لقد شاعت وكثرت ظاهرة الخلافات الزوجية مع تسارع تغيرات الحياة، وتمادي الانحلال الأخلاقي، وجنون العالم المادي، مع غياب التمسك بمنهج الله في قيادة الحياة البشرية؛ فأصبحت القيادة لشياطين الإنس والجن للبشرية هي السائدة الآن، لقد انقاد الكثير من الأزواج من الجنسين في العالم الإسلامي لهذه القيادة الشيطانية، تاركين منهج الله خلف ظهورهم.

ومن ينظر في قائمة الأخبار اليومية يجدها تعج بأبشع حالات الانحرافات الزوجية، بل وحالات القتل الناتجة عن الخلافات الزوجية.

وفي هذا المقال نضع أمام الأزواج من الرجال بعض الهَدي النبوي الشريف الذي ينير لهم كيفية فهم طبيعة الزوجات، كما حددها لنا رسول الله، وكيفية التعامل السليم مع الزوجات بمنهج الله، لا بمنهج هوى النفس والشيطان.

وننوِّه بشدة أن هناك غالبية قد فسرت أحاديث النبي في هذا المجال بهوى نفس الرجال؛ مما أخرج هذه الأحاديث عن المقصود منها، مما شوه صورة النساء في الإسلام، وبالتالي تم استخدام ذلك من أعداء الإسلام لمحاربته وتشويه صورته.

ونحن هنا سنوضح الجانب المشرق لمنهج الله في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، لبيان خصائص وطبيعة النساء كما خلقهن رب السماوات والأرض، رب العرش العظيم، {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} [السجدة: 7].

إن فهم الزوج لطبيعة زوجته التي تختلف عن طبيعته كرجل، وبيان الحكمة من ذلك، سيحل الكثير من الخلافات الزوجية.

لقد أوضح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأحاديث بعض طبائع النساء التي يجب على الزوج معرفتها جيدًا، حتى يحسن معاملة زوجته؛ ومنها:

الحديث الأول:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: ((المرأة كالضلع، إن أقمْتَها كسرتَها، وإن استمتعتَ بها استمتعت بها وفيها عوجٌ))، وفي رواية أخرى للبخاري كذلك: ((استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنهن خُلِقْنَ من ضلع، وإن أعوجَ شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تُقيمُه كسرتَه، وإن تركتَه لم يَزَلْ أعوجَ، فاستوصوا بالنساء خيرًا)).

إن هذا الحديث موجَّه للرجال وليس للنساء، وهذا يعني أن هناك ما يجب فهمه وعمله من جانب الرجال، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصحح به ما لديَّ الرجال من مفاهيم موروثة من الجاهلية، أو مما حُرف في بعض الرسائل السماوية عن النساء كما هو عند اليهود.

إن سوء معاملة الرجال للنساء قبل نزول رسالة الإسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم استلزم تصحيح ذلك في عقول الرجال، فالاعوجاج موجود في عقولهم.

ولكن لوجود رواسب الفكر الماضي في عقول الرجال؛ فقد ذهبوا إلى تفسير الحديث متأثرين بهذه الرواسب.

قد يظنُّ بعض الأزواج - جهلًا - أن في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن المرأة خُلِقت من ضلع أعوج)) عيبًا فيها، ونقيصة يجب إصلاحها، وقد يذكُرُ الرجل ذلك لزوجته للتقليلِ من شأنها وإذلالها بذلك، والسخرية والاستهزاء بها!

ولكن هذا الفهم لهذا القول هو عينُ العيب والنقيصة؛ ففي الحقيقة أن خَلْقَ المرأة من ضلع أعوج هو الكمالُ كلُّه في خلقها، اقرأ قول الله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4]، فليس فيما خلَق الله نقصٌ.

إن الخالق هو الله؛ ألم تقرأ: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4]؟

من هنا؛ فإن العوجَ صفةُ مدح، وليس صفةَ ذمٍّ للمرأة؛ إذ إن هذا العوج في حقيقته هو استقامةُ المرأة لمهمَّتها، وليس العوج في الحديث مرادًا به الفساد في طبيعة المرأة؛ لأن عوجَها هذا هو صلاحها لأداء مهمتها، فالمرأة من وظائفها أن تتعاملَ مع الأطفال، والأطفال في حاجة إلى الحنان والعطف الشديد، وليسوا في حاجة إلى التعامل معهم تعاملًا يغلب عليه العقلُ، بل هم في حاجةٍ إلى

تعامل تغلبُ فيه العاطفة على العقل؛ حتى يمكن تحمُّل السهر والبكاء، ومتاعب الأطفال، التي لا يُعرَف لها سببٌ أحيانًا.

فلا يظنَّ بعض الجاهلين في عقولهم أنهم سيُصلحون ما خلقه الله؛ فالحديث يشير إلى أن الخللَ هو في عقول هؤلاء الذين يريدون تغييرَ ما أبدعَه الله في خلق المرأة، فهذا الضلع الأعوج هو الذي يميِّز المرأة على الرجل.

فإن أراد هذا الجاهلُ تغييرَ هذا الاعوجاج - كما يتصوَّر هو في عقله - يكون بهذا العمل قد أفسد كمالَ خلق الله للمرأة، وأصبحت غير صالحة للمهمة التي خُلقت من أجلها ((إن أقمتَها كسرتَها))، ((فإن ذهبتَ تُقيمه كسرتَه))، أما وضعها كما خلقها الله، ففيه مصلحة الزوج ((وإن استمتعت بها، استمتعتَ بها وفيها عوجٌ))، هذا خلق الله الخالق البارئ المصور.

لقد جاء وصف المرأة بأنها خُلقت من ضلع أعوج في سياق توصيةِ نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم للأزواج بأن يُحسنوا تعاملهم مع زوجاتهم: ((استوصوا بالنساء خيرًا))، ولا يكلفوهن بما لا يتناسبُ مع طبيعة خلقِهن التي فطرهنَّ الله عليها، فهذا وصفٌ بالمقارنة بالرجال، وليس هذا حكمًا على العموم.

فللمرأة فطرة مختلفة عن فطرة الرجلِ بما يتناسب مع المهام التي خُلِقت من أجلها، وللرجال فطرة تختلف عن فطرة النساء بما يناسب التكاليفَ المنوطة بهم من خالقهم؛ {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى}

[آل عمران: 36]، فلا يَقِسِ الرجل تكاليفَه التي كلفه الله بها كرجلٍ بتكاليف زوجته التي كلَّفها الله بها.

{وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [النساء: 32].

فتكاليفُ الله لكل طرف منهما هو عدلُ الله لهما، ويجب علينا ألا نُخالِفَ عدلَ الله؛ {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: 228]، والحديث التالي سيؤكد ذلك.

الحديث الثاني:

فقد جاء في حديث رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري ومسلم، من حديثِ الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، فقال: ((خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحًى أو فطرٍ إلى المصلَّى، فمرَّ على النساء، فقال: يا معشر النساء، ما رأيت من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهَبَ للُبِّ الرجل الحازمِ من إحداكن، قلن: وما نقصانُ دينِنا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادةُ المرأة مثلَ نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصانِ عقلها، أليس إذا حاضَتْ لم تُصلِّ ولم تَصُمْ؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها)).

وهنا يحدِّد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث طبائعَ النساء، وما اختصهن الله به من تفوُّقِ العواطف على العقل، على العكس من الرجل الذي يتفوَّق فيه العقل على العواطف، وهنا تمايزت النساء عن الرجال في التكاليف الشرعيَّة والخصائص الفطرية، فالحديث يشير إلى غلبة العاطفة

والرقَّة على المرأة، وهي عاطفةٌ ورقَّةٌ صارت "سلاحًا" تغلبُ به هذه المرأة أشدَّ الرجال حزمًا وشدة وعقلًا، وفي هذا التمايز حكمةٌ بالغة؛ ليكون عطاءُ المرأة في ميادين العاطفة بلا حدود.

فهو مدحٌ للعاطفة الرقيقة التي تذهبُ بحزم ذوي العقول والألباب، ويا بؤسَ وشقاء المرأة التي حُرمت من شرف امتلاك هذا السلاح، الذي فطر الله النساء على تقلُّده والتزين به في هذه الحياة!

الحديث الثالث:

جاء في البخاري وغيره، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: ((كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلَتْ إليه إحدى أُمهات المؤمنين بِصَحْفَة فيها طعام، فَضَرَبتِ التي هو في بيتها الصَّحفَة، فانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فِلَق الصَّحفَةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام ويقول: غَارتْ أُمُّكم، غارتْ أُمُّكم)).

وفي رواية الترمذي أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم: ((طعام بطعام، وإناء بإناء)).

هنا عائشة رضي الله عنها أصابتها الغيرة فكسرت الإناء، لكن ما يسترعي الانتباه هنا هو هذا الموقف التربويُّ العظيم من النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف تعامل مع غيرة عائشة، إذ لم يزجر ولم يعنِّف، بل قالت عائشة رضي الله عنها كما عند ابن ماجه: (فما رأيت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم).

أخي المسلم:

ماذا لو كُنتَ مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعك أصحابك وضيوفك؟ ربما سببت وشتمت، وضربت وطلقت، وقلت: كيف تُهان كرامتي؟ وكيف تنتقص رجولتي؟

لقد عالج النبي صلى الله عليه وسلم الأمر معالجة تربويَّة حكيمة، يتبين منها رقي تعامله صلى الله عليه وسلم مع الزوجة، وتقدير نفسيتها وما جُبلت عليه من غَيرة، قد تجعلها تخطئ الصواب في التصرف أحيانًا، فلم يعاتبها وأعذرها فيما فعلت، ولم ينتهِ إلى هذا الحد فحسب، بل نبَّه أصحابه إلى ما حملها على هذا التصرف فقال: ((غَارتْ أُمُّكم، غارتْ أُمُّكم)).

الحديث الرابع:

في صحيح ابن حبَّان عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((لما قدم وفد الحبشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا يلعبون في المسجد، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إليهم، وهم يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا الذي أسأم))، وفيما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ((وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحِراب، فإمَّا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإمَّا قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه، وخَدي على خده، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة، حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم، قال: فاذهبي)).

أخي المسلم:

انظر كيف سمح رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجته أن تروح على نفسها، بل هو الذي عرض عليها الأمر: ((تشتهين تنظرين؟)).

وانظر كيف كان يدلل زوجته ويتلطف معها: ((وخدي على خده)).

أي حنان هذا؟ وأي تودد هذا من نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم لأزواجه؟

وبِناء على هذا أمرنا الرسولُ صلى الله عليه وسلم بالتعامل مع النساء بما يلائمُ طبائعَهن، والتصرُّف معهن على أساس أنهن الجنسُ الناعم، وقد خلقهُنَّ الله كذلك بمشيئته لدواعٍ خاصة، مما يتوجَّب على الرجال مراعاةُ الرِّفق في التعامل مع النساء دائمًا، وبالأسلوب الجميل.

فللرجلِ دائرتُه، وللمرأة دائرتُها، والحياة لا تستقيمُ إلا بتكاتف النوعَيْنِ فيما ينهض بأمَّتِهما، فإنْ تخاذلا أو تخاذلَ أحدُهما، انحرفت الحياة الجادَّة عن سبيلها المستقيم؛ فما زاد في المرأة نقص من الرجل، وما زاد في الرجل نقص من المرأة.

ولذلك؛ فمن المهم أن يكون لدى كلٍّ من الرجل والمرأة درايةٌ كافية بطبيعة الرجل وطبيعة المرأة، وبذلك يسهلُ على كلٍّ منهما التعاملُ مع الطرف الآخر في ضوء خصائص كلٍّ منهما، فعندما يعرف الرجل أن المرأةَ مخلوق مشحونٌ بالمشاعر والأحاسيس والعواطف، فإنه يستطيع أن يتعاملَ معها على هذا الأساس، وبالمِثْل إذا عرفَتِ المرأة طبيعة الرجل، فإن هذا سيساعدُها أيضًا على التعامل معه.

أخي المسلم:

عامِل زوجتك عبادة لله لتُرضي ربك، فتفوز براحة الدنيا وثواب الآخرة.

تغاضَ عن تقصيرها معك، تسترِح وتُثَب من الله البر الرحيم.

تعلم التودد لزجتك عبادة لله، وليس ضعفًا منك.

فالرجولة ليست بالغلظة والعنف، ولكن بالمودة والرحمة.

جرِّب ذلك واصبر عليه، فستجد راحة البال والسكينة التي يسكبها ربك في بيتك.

المقال الخامس:

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ} والسعادة الزوجية

جاء قول الله تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آل عمران: 14]، وفي هذه الآية الكريمة جاء الفعل "زُيِّنَ" مبنيًّا للمجهول؛ ليعبِّرَ عن دلالات متعددة، ونستفيد من ذلك أن الله هو الذي خلق الشهوات في الإنسان، فهي مزينة له من حيث الفطرة؛ وذلك لأجل استمرار الحياة على الأرض، ولتكون فتنةً للناس واختبارًا لهم؛ قال تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الكهف: 7].

ثم إن هناك تزيينًا آخرَ فوق تزيين الفطرة ملقًى في مشاعر وأحاسيس وعقل الإنسان المؤمن، سواء كان زوجًا أو زوجة، إذا ما كانت نيتهما من لقائهما معًا هو مرضاة الله والسير على منهجه؛ قال تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: 17]؛ ومن ثَم تزداد المودة والمحبة بين الزوجين وتزداد سعادتهما معًا؛ قال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: 21]؛ ومن هنا تزداد سعادتهما الزوجية؛ قال صلى الله عليه وسلم: ((الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة))؛ [أخرجه مسلم].

وكان سيدُ البشرية محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرَ مثالٍ لذلك؛ فقد عبر عن ذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: ((حُبِّبَ إليَّ من دنياكم: النساء والطِّيب، وجُعلت قرة عيني في الصلاة))؛ [رواه أحمد والنسائي].

ولا شك أن العلاقة الزوجية بهذا الشكل تصبح من أسمى وأرقى العلاقات في هذا الكون على الإطلاق؛ فهي علاقة مشاركة ومحبة ومودة ورحمة، تجمع بين طرفين وتربطهما معًا في كل أمور حياتهما.

وهذا هو زواج العبادة الذي يتقرب بها المرء إلى خالقه تعالى؛ فهو حصن له، يعفه ويحفظه من الزيغ والانحراف، ويؤهله لتحمل الخلافة في الأرض.

وهناك تزيين ثالث ولكن يقوم به الشيطان، فيزين لكلا الجنسين أداء هذه الشهوة في الحرام، لدرجة أن الواحد منهم يظن أن أداء هذه الشهوة في الحرام أحب إلى نفسه من الحلال الطيب، فجعلوها هي المقصدَ، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، وصحبوها صحبة البهائم، يتمتعون بلذاتها ولا يبالون على أي وجه أدَّوها، فهؤلاء كانت زادًا لهم إلى جهنم وبئس المصير.

ولكن هذا التزيين الشيطاني مزيف قصير المدى، فالذين يمارسونه سريعًا ما يفقدون هذه اللذة مع من يمارسونها معهم، فيبحثون عنها مع آخرين، فيفقدونها أيضًا وهكذا، ثم يبحثون عنها في أشكال مختلفة تنافي الفطرة، ثم يفقدونها تمامًا وتصبح سرابًا لا يجدونه؛ قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور: 39]؛ ومن ثَمَّ يصابون باليأس والإحباط في الحياة، وتكون النهاية بالانتحار، وهذا ما نلاحظه في الدول المنحلة أخلاقيًّا بكثرة.

المقال السادس: فقه أولويات الزوجة

أُمُّ سُلَيْم أفضل ما تكون الزوجة لزوجها

تبدأ الحياة الزوجية بما يسمونه شهر العسل؛ حيث يتفرغ كلا الزوجين للاستمتاع بالزواج، ويغفل الكثيرون عن الغاية من الزواج الذي شرعه الله.

وتحاول الزوجة في الشهور الأولى من الزواج أن تبدو من الحور بالنسبة لزوجها، فيسعد الزوج بحياته، ويجد في هذه الأيام والشهور الأولى تحقيقًا لأحلامه في البيت الذي طال انتظاره له، والذي بات يحلم بوضع جدرانه لبنة لبنةً في خيالاته.

ثم تبدأ الانشغالات لدى الزوجات بأمور متطلبات البيت: الزوج، الأولاد، الغسيل، إعداد الطعام، تنظيف البيت، وقد يُضاف إلى ذلك عمل الزوجة الخارجي الذي قد يشغل الزوجة لتحقيق كِيانها.

وهنا تبدأ شكاوى عديدة لا تكاد تتوقف بعض المتزوجات من التذمر منها، ومن أعباء الحياة الزوجية التي تشغل تفكيرهنَّ، وقد يصبح هذا التذمر سببًا أساسيًّا في تفاقم الخلافات بين الزوجين، وفي غمرة ذلك تُهمل الزوجة حاجات زوجها، وتقصِّر في حقه بحجة انشغالاتها، وهنا يبدأ الشرخ الذي يُصيب الأسرة بأمراض عديدة بين الزوجين؛ مما يجعل حياتهما تفتقد للأجواء الأسرية الجميلة، مع احتمالية وصولهما إلى مرحلة الانفصال.

إن معظم ما تقع فيه الزوجات من حَيرة وتخبُّط في هذه الظاهرة، هو البعد عن منهج الله لمفهوم الزواج لدى الكثرة من الزوجات.

وفي هذا المقال لن نخوض بالقول والنصح والإرشاد بالكلمات، بل سنعرض موقفًا حقيقيًّا لمِثَل طيب للزوجة المؤمنة التي تتعامل مع زوجها عبادةً لله، وليس استمتاعًا دنيويًّا محدود الغاية، فهناك غاية أسمى وأعلى وأجلُّ من هذا الاستمتاع، وإن كان هذا الاستمتاع الدنيوي هو وسيلة لهذه الغاية.

فهيَّا بنا نعيش هذا الموقف في الحديث التالي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: تَزَوَّجَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ وَهِيَ أُمُّ أَنَسٍ، وَالْبَرَاءِ، قَالَ: فَوَلَدَتْ لَهُ بُنَيًّا، قَالَ: فَكَانَ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا، قَالَ: فَمَرِضَ الْغُلَامُ مَرَضًا شَدِيدًا، فَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ يَقُومُ صَلَاةَ الْغَدَاةِ يَتَوَضَّأُ، وَيَأْتِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَيُصَلِّي مَعَهُ، وَيَكُونُ مَعَهُ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ، فَيَجِيءُ فيَقِيلُ وَيَأْكُلُ، فَإِذَا صَلَّى الظُّهْرَ تَهَيَّأَ وَذَهَبَ، فَلَمْ يَجِئْ إِلَى صَلَاةِ الْعَتَمَةِ، قَالَ: فَرَاحَ عَشِيَّةً، وَمَاتَ الصَّبِيُّ، قَالَ: وَجَاءَ أَبُو طَلْحَةَ، قَالَ: فَسَجَّتْ عَلَيْهِ ثَوْبًا، وَتَرَكَتْهُ، قَالَ: فَقَالَ لَهَا أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، كَيْفَ بَاتَ بُنَيَّ اللَّيْلَةَ؟ قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا كَانَ ابْنُكَ مُنْذُ اشْتَكَى أَسْكَنَ مِنْهُ اللَّيْلَةَ، قَالَ: ثُمَّ جَاءَتْهُ بِالطَّعَامِ، فَأَكَلَ وَطَابَتْ نَفْسُهُ، قَالَ: فَقَامَ إِلَى فِرَاشِهِ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ، قَالَتْ: وَقُمْتُ أَنَا، فَمَسِسْتُ شَيْئًا مِنْ طِيبٍ، ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى دَخَلْتُ مَعَهُ الْفِرَاشَ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَجَدَ رِيحَ الطِّيبِ كَانَ مِنْهُ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّجُلِ إِلَى أَهْلِهِ، قَالَ: ثُمَّ أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ يَتَهَيَّأُ كَمَا كَانَ يَتَهَيَّأُ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا اسْتَوْدَعَكَ وَدِيعَةً، فَاسْتَمْتَعْتَ بِهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا، فَأَخَذَهَا مِنْكَ تَجْزَعُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، قَلَتْ: فَإِنَّ ابْنَكَ

قَدْ مَاتَ، قَالَ أَنَسٌ: فَجَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا، وَحَدَّثَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي الطَّعَامِ وَالطِّيبِ، وَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْهَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((هِيهِ فَبِتُّمَا عَرُوسَيْنِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِكُمَا؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا))، قَالَ: فَحَمَلَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، قَالَ: فَتَلِدُ غُلَامًا، قَالَ: فَحِينَ أَصْبَحْنَا، قَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ فِي خِرْقَةٍ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَاحْمِلْ مَعَكَ تَمْرَ عَجْوَةٍ، قَالَ: فَحَمَلْتُهُ فِي خِرْقَةٍ، قَالَ: وَلَمْ يُحَنَّكْ، وَلَمْ يَذُقْ طَعَامًا وَلَا شَيْئًا، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَدَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ، قَالَ: ((اللَّهُ أَكْبَرُ، مَا وَلَدَتْ؟)) قُلْتُ: غُلَامًا، قَالَ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ: هَاتِهِ إِلَيَّ))، فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ، فَحَنَّكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قَالَ لَهُ: ((مَعَكَ تَمْرُ عَجْوَةٍ؟)) قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَخْرَجْتُ تَمَرًا، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَمْرَةً وَأَلْقَاهَا فِي فِيهِ، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَلُوكُهَا حَتَّى اخْتَلَطَتْ بِرِيقِهِ، ثُمَّ دَفَعَ الصَّبِيَّ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَجَدَ الصَّبِيُّ حَلَاوَةَ التَّمْرِ جَعَلَ يَمُصُّ حَلَاوَةَ التَّمْرِ وَرِيقَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَكَانَ أَوَّلُ مَا تَفَتَّحَتْ أَمْعَاءُ ذَلِكَ الصَّبِيِّ عَلَى رِيقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((حُبُّ الْأَنْصَارِ التَّمْرَ))، فَسُمِّيَ عَبْدَاللَّهِ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ، قَالَ: فَخَرَجَ مِنْهُ رَجُلٌ كَثِيرٌ، قَالَ: وَاسْتُشْهِدَ عَبْدُاللَّهِ بِفَارِسَ.

وفي روايةٍ للْبُخَارِيِّ: قَالَ ابْنُ عُيَيْنَة: فَقَالَ رجُلٌ منَ الأَنْصارِ: فَرَأَيْتُ تسعة أَوْلادٍ كلُّهُمْ قدْ قَرؤُوا الْقُرْآنَ، يعْنِي مِنْ أَوْلادِ عَبْدِالله الْمولُود.

أرأيتم ماذا فعلت أم سليم مع زوجها، وابنها قد مات، لم تقابله بوجه عبوس، ولم يظهر على وجهها أثرُ موت ابنها؟ يا لها من زوجة لديها من قوة الإيمان، فقد رضيت بقضاء الله: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: 156، 157].

فهل يوجد الآن من الزوجات من لديها القدرة على فعل ذلك؟!

وعندما سألها زوجها عن الابن، كان قولها: (قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا كَانَ ابْنُكَ مُنْذُ اشْتَكَى أَسْكَنَ مِنْهُ اللَّيْلَةَ)، قول يدل على فطنة الزوجة وذكائها وحكمتها، ثم ما كان منها أن أعدت الطعام مسرعةً وقدَّمته إلى زوجها، (ثُمَّ جَاءَتْهُ بِالطَّعَامِ، فَأَكَلَ وَطَابَتْ نَفْسُهُ)، إنها سيدة منزل على قدر من المهارة في تلبية حاجة زوجها من الطعام، انظر كلمة: "وَطَابَتْ نَفْسُهُ"، نِعمَ الزوجة هي!

ولم تكتفِ بذلك، انظر كيف كان صنيعها بعد ذلك: (فَمَسِسْتُ شَيْئًا مِنْ طِيبٍ، ثُمَّ جِئْتُ حَتَّى دَخَلْتُ مَعَهُ الْفِرَاشَ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَجَدَ رِيحَ الطِّيبِ، كَانَ مِنْهُ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّجُلِ إِلَى أَهْلِهِ).

يا لها من زوجة رائعة لفَهْمها ما هو دورها الذي أعدها الله له، إنها تعبِّد نفسها لله بنفس راضية مطمئنة، إنها متعة الإيمان، وما أحلاها متعة، متعة الدنيا والآخرة معًا: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [البقرة: 201].

ومن العجب أن أم سليم لم تُخبر زوجها حتى الآن بخبر موت ابنه، بل تركتْه يَستريح حتى جاء موعد خروجه للذهاب إلى النبي الله صلى الله عليه وسلم، حينها قالت له: (يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ

رَجُلًا اسْتَوْدَعَكَ وَدِيعَةً، فَاسْتَمْتَعْتَ بِهَا، ثُمَّ طَلَبَهَا، فَأَخَذَهَا مِنْكَ، تَجْزَعُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: لَا، قَلَتْ: فَإِنَّ ابْنَكَ قَدْ مَاتَ).

يا لها من بلاغة وفِقه لدى هذه الزوجة، فقد ردت الأمر لصاحب الأمر، إنه الله الذي يحيي ويميت.

انظر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ردًّا على صنيع أم سليم، عندما اشتكى زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

"وَحَدَّثَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ فِي الطَّعَامِ وَالطِّيبِ، وَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْهَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((هِيهِ فَبِتُّمَا عَرُوسَيْنِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِكُمَا؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا))".

لقد أشاد رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بكل صنيع أمِّ سليم، فقد أقره ودعا لهما: ((بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا)).

أخي المسلم، أختي المسلمة، هيا بنا لنرى بركة صنيع أم سليم كزوجة مؤمنة قامت بما يوجبه الله عليها كزوجة، فكان عطاء الله لها غلامًا سماه رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم "عبدالله".

(قَالَ: فَحَمَلَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، قَالَ: فَتَلِدُ غُلَامًا)، (فَسُمِّيَ عَبْدَاللَّهِ بْنَ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: فَخَرَجَ مِنْهُ رَجُلٌ كَثِيرٌ، قَالَ: وَاسْتُشْهِدَ عَبْدُاللَّهِ بِفَارِسَ).

وفي روايةٍ للْبُخَاريّ: قَالَ ابْنُ عُيَيْنَة: فَقَالَ رجُلٌ منَ الأَنْصارِ: فَرَأَيْتُ تسعة أَوْلادٍ كلُّهُمْ قدْ قَرؤُوا الْقُرْآنَ، يعْنِي مِنْ أَوْلادِ عَبْدِالله الْموْلُود.

هل رأيت هذا العطاء من الله ببركة صنيع هذه الزوجة؟ يموت ابنها فيبدلها الله بغلام يكون له رجال كُثُر حَفَظةٌ للقرآن، ذرية بعضها من بعض.

اللهم ارزق أزواجنا هذا الفقه وارزُقنا الذرية الصالحة: {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان: 74].

المقال السابع

العلاقة الزوجية بين الجهل والتسيب

من الأمور التي تُدمي القلوب، وتقطع الأرحام، وتُشرِّد الأبناء، وتُفتِّت الأُسَر، وتشغل عن تأدية الواجبات، وقد تُؤدِّي إلى الجريمة، وسفك الدماء، وعدم البركة في الرزق، وتهدم الأُمَم؛ ألا وهي سوء العلاقة الزوجية، إما لجهل أو تسيُّب فيها.

فأكثر الخلافات الزوجية، وارتفاع نسبة الطلاق، راجع في معظمه إلى جهل كلا الطرفين – الزوج والزوجة – بما عليهم، وما هو لهم من الطرف الآخر؛ فقد استوقفني قول الله: {إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ} [البقرة: 230] في قوله تعالى: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [البقرة: 230]، والجهل بهذه الحدود الزوجية {حُدُودَ اللَّهِ} هو الأساس في كل هذه المشاكل .

وقد راعني جدًّا عند مشاهدة البرامج الدينية التي تتعلَّق بالأسرة كثرةُ شكوى الأزواج من زوجاتهم بالتمنُّع والتعلُّل بأسباب واهية؛ لكيلا يلبِّينَ طلب أزواجهن للفراش، أو هجر الرجال لأزواجهنَّ وإهمال حقوقهنَّ الزوجية.

إن جهل الكثير بأن الزواج عبادة، وله حدوده الربانية، والتسيُّب الذي يسري في بيوت الكثير من الأُسَر؛ مُسايرةً لما يُسمَّى التطوُّر والتحضُّر كما يشاهدونه في وسائل الإعلام، وما يُسمَّى التواصُل الاجتماعي – لهو الكارثة التي تُدمِّر الكيان الأسري.

وكَوني أستاذًا تربويًّا، وباحثًا علميًّا، ومفكِّرًا إسلاميًّا، شعرت بهذه المشكلات بين كثير من الشباب المتزوِّج؛ لأنهم يجهلون الكثير ممَّا عليهم تجاه زوجاتهم؛ مثال ذلك فيما جاء ببعض آيات القرآن الكريم: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222]، في هذه الآية الأمر بالإتيان بعد التطهُّر مباشرة، انظر قوله تعالى: {فَأْتُوهُنَّ}؛ الفاء تدلُّ على الترتيب بعد الطهارة، وبعدها فِعل أمر الإتيان، ومما يؤكِّد أكثر قوله تعالى: {مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ}، إنَّها أوامر إلهية، هذا الأمر يغفل عنه الكثير؛ لأنَّ مخالفته تُسبِّب ضررًا بالغًا للزوجة دون أن يدري الزوج، إنها تكون في قمَّة حاجتها لزوجها؛ للرغبة العارمة لديها في ذلك الوقت، والتي جعلها الله بعد الحيض من أجل الإنجاب، إنها الفِطرة التي يَسمو بها الإسلام ولا يكبتها، وإغفال هذا الأمر يُسبِّب مشاكل زوجية عديدة، ولا تبوح الزوجة بذلك، وتكون تصرُّفاتها غير منضبطة، ولا يعرف أحدٌ السببَ، وتدور المشاكل داخل الأسرة في دائرة مغلقة.

والذي نفسي بيده، ما سألتُ شابًّا متزوِّجًا إلَّا ووجدته يجهل ذلك ويتعجَّب، وبعد بيان هذه المعاني بالآية إلا ويقول: الآن فهمت لماذا كانت مشاكلي مع زوجتي.

إن سبب تمنُّع الزوجة عن زوجها سببه كثرة ما عانت من هذا الإهمال من الزوج، فيتولَّد لديها دون أن تدري ردُّ فعل عكسي تُجبر به زوجها لتُذيقه ممَّا ذاقته منه، دون أن تدري خطورة ذلك على تدمير حياتهما الزوجية.

والسبب الآخر هو التسيُّب الذي اجتاح بعض الأزواج من الطرفين بمشاهدة وسماع وقراءة ما يُنشر بوسائل النشر، وتفاني شياطين الإنس في نشر ما يُدمِّر الحياة الزوجية، بل يدمِّر كل الشباب، فأصبح من المتاح لكل فرد بنقرة واحدة أن يشاهد كل المحرَّمات؛ بل إن هذه المحرَّمات تُلاحق كل مستخدم للأجهزة الحديثة ليقع فيها لمشاهدتها.

إن هذا بلاء من الله ليختبر إيماننا، ففي كل عصر له اختباراته: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: 94]، فليس عاصم من ذلك إلا خشية الله في الغيب، فهو اختبار للمؤمن على قوَّة إيمانه.

{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك: 12]، {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [النور: 30].

وقد نصحنا نبيُّنا صلى الله عليه وسلم، فقال: ((لأعلمَنَّ أقوامًا من أُمَّتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبالِ تِهامة بيضاء، فيجعلها الله عز وجل هباءً منثورًا، قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا،

جَلِّهم لنا؛ ألاّ نكون منهم ونحن لا نعلم؛ قال: أمَا إنهم إخوانكم، ومن جلدتكم، ويأخذون من الليل كما تأخذون؛ ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها))؛ [رواه ابن ماجه].

أيها الشاب المسلم، أين أنت من هذا؟ اتقِ الله في الغيب، يحفظك ويحفظ بيتك وأهلك، لا تهتك ستار ربّك عنك، فكل ما تنظر إليه ستراه في كتابك، محفوظ في حافظتك كما تعمل الحفظ على جهازك الذي معك، ثم يقول لك ربك يوم القيامة: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء: 14].

فترى نفسك تشاهد كل ما شاهدت في هذه المواقع المحرَّمة أمام ربِّ العزة، وكله منشور على الملأ يوم القيامة إلا من تاب وستر الله عليه: {يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ: 40]، اللهم اعصم شباب المسلمين من هذه الفتن، وعلمهم حدودك، ورقِّق قلوبهم لطاعتك.

المقال الثامن

الخلافات الزوجية: المشكلة والحل

لقد كثُرت الخلافات الزوجية في هذا العصر بشكل غير مسبوق، وكثُر معها التفكُّك الأسري بشكل مخيف، بما يهدِّد التماسُك الأسري وقوة ترابط بُنيان الأسرة بشكل خاص، والمجتمع بشكل عام، وهذا إنذار خطير للأمة، بما يستوجب تحليل هذه المشكلة، ومعرفة جذورها، والعوامل التي تؤدي إليها وتُغذِّيها بوقود النار، وكيفية وَأْدِ هذه النار في عقرها قبل أن تَلتهم باقي البنيان.

لا شك أن هناك مؤسسات وهيئات متخصصة بشكل علمي تقوم على إشعال نار هذه المشكلات عالميًّا، وما يعرض في وسائل الإعلام بشكل عام، والنت بشكل خاص، لأكبرُ دليلٍ على ذلك، ولا ينكر هذا أيُّ عاقل.

وللأسف لا يقابِل هذا العمل الشيطاني ما يُماثله من مؤسسات وهيئات وتمويل ليحدَّ من خطورته، أو يعمل على تحصين الأسرة من التعدِّي عليها في عقر دارها.

وفي هذا المقال نعرض لمثال واحد مقتبس من هَدْي النبي صلى الله عليه وسلم، معلم الأُمَّة الذي أرسله ربُّه هاديًا ومعلمًا للعالمين، والذي علمنا أن يكون الكلام: "ما قلَّ ودلَّ"، وأن العمل التطبيقي العملي في الحياة هو خير مرشد، وأكثر إقناعًا لنا لنعمل ونطبق؛ لأن الكلام في هذا العصر كثُر وندر العمل.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة (إناء) فيها طعام، فَضَرَبَتِ التي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم في بَيْتِها يَدَ الخادِم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فِلَقَ الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: غارَتْ أُمُّكُم، ثم حبس الخادم حتى أُتِيَ بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كُسِرَت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كَسَرت))؛ [رواه البخاري].

وفي رواية أخرى: ((أَنَّ أُمَّ سلمةَ أَتَتْ بطعام في صَحْفة لَها إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فجاءتْ عائشةُ مُؤْتزرَة بكساء، ومعها فِهْر، ففلقت به الصحفةَ، فجمع النبيُّ صلى الله عليه وسلم بين فلقتي الصحفة، ويقول: كلوا، غارتْ أُمُّكم، مرتين، ثم أخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَحْفَةَ عائشةَ، فبعث بها إلى أُمِّ سلمةَ، وأعطى صحفةَ أُمِّ سلمةَ عائشةَ)).

في هذا الحديث مشكلة زوجية حدثت في بيت النبوة طرفاها: النبي صلى الله عليه وسلم، وزوجته عائشة.

وهنا نريد أن نتعلم:

1- كيف نُحدِّد المشكلة بدقة، وما الأخطاء التي قد نقع فيها أثناء تحديد المشكلة؟ وما خطورة هذه الأخطاء؟

2- وكيفية الحل دون تعقيد.

وقبل التحدُّث عن تحديد المشكلة في هذا الحديث، نتوقَّف عند الأخطاء التي قد نقع فيها أثناء تحديد هذه المشكلة، فقد يظنُّ البعض أن المشكلة هي كسر عائشة رضي الله عنها للإناء، وتبعثُر الطعام منه، وقد يفكر البعض الثاني في مس كرامة النبي صلى الله عليه وسلم أمام أصحابه، وقد يُفكِّر البعض الآخر في إهانة عائشة لأُمِّ سلمة التي أرسلت الطعام.

إن كل ما سبق من هذه الظنون هو نتائج للمشكلة الأساسية؛ لذلك قد تتوالى الكثير من القيل والقال في أي مشكلة، وتتشعَّب المشكلة، وتتولَّد منها مشكلات بالقيل والقال، وهذا هو مدخل الشيطان في تضخيم أي مشكلة، حتى يصعُب حلُّها بعد ذلك، وتختفي من تحت أعيننا المشكلة الأساسية؛ لذلك يجب ألَّا تخرج المشكلات الزوجية خارج حدود الزوجين؛ حتى لا يكثُر القيل والقال، وتتولَّد مشكلات أخرى، وتشتعل النيران من حولها؛ ولكن أين المشكلة الأساسية في هذا الحديث؟

لقد حدَّدها النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال: ((غارَتْ أُمُّكم))، وكررها مرتين للتأكيد أنها هي المشكلة، ما أحكمَكَ يا رسول الله!

وهنا يسهل الحل نتيجة تحديد المشكلة بدقة، فالغَيرة فطرة خلقها الله في النساء، إذًا ليس لأي فرد القدرة على إزالتها، فهذا من الاعوجاج الذي نوَّه إليه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: ((المرأة كالضِّلع، إن أقمْتَها كسرتَها، وإن استمتعتَ بها استمتعْتَ بها وفيها عوجٌ))، وفي رواية أخرى للبخاري كذلك: ((استوصُوا

بالنساء خيرًا؛ فإنهن خُلِقْنَ من ضِلَع، وإنَّ أعوجَ شيء في الضِّلع أعلاه، فإن ذهبتَ تُقيمُه كسرتَه، وإن تركتَه لم يَزَلْ أعوجَ، فاستوصُوا بالنساء خيرًا)).

وهذه الغيرة هي من سمات أنوثة النساء التي فطرهنَّ الله عليها، ومن هنا كان توجيه كلام النبي صلى الله عليه وسلم إلى عامة الأمة بقوله: ((غارت أُمُّكُم))، ولم يوجهها إلى عائشة، وكأنه يقول صلى الله عليه وسلم: التمسوا لأُمِّكم العُذْر فيما فعلت، كما يجب أن تلتمسوه لأزواجكم.

ومن بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم أنه وضع حل المشكلة بداية في تحديدها بهذا القول: ((غارت أُمُّكم))، كما أنه صلى الله عليه وسلم لم يُظهِر أيَّ انفعالٍ كما يحدُث من أي زوج آخر، ثم تتوالى خطوات الحل، فجمع النبيُّ صلى الله عليه وسلم بين فلقتي الصحفة، ويقول: ((كلوا))، ما هذا التواضع من نبي الأمة وما أحلَمه، ولذلك قال عنه رب العزة: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، ولم ينسَ النبي صلى الله عليه وسلم أن يطيب خاطر أمَّ سلمة، "فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صَحْفَةَ عائشةَ، فبعث بها إلى أُمِّ سلمةَ، وأعطى صحفةَ أُمِّ سلمةَ عائشة"، ما أعدلَكَ يا نبي الأُمَّة وأرحمَك! {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107].

هذا مثال نبوي به حكمة عظيمة في دقة تحديد المشكلة الزوجية، والقدرة على حلِّها بيُسْر وبساطة ودون انفعال بين الزوجين.

فالله أكبر على هذا الموقف التربوي العظيم من مواقف النبي عليه الصلاة والسلام، موقف قد لا يتصرَّف معه كثيرٌ من الأزواج في هذا الزمان بأقل من السبِّ والشتم، وربما الضرب والوعيد والتهديد، هذا إن لم يصل الحال إلى طلاق الزوجة وإهانتها.

إن المشكلات الزوجية لا تُحلُّ إلَّا بمنهج الله، وبين الزوجين، وفي ستر، ولا تُنشر على الفضائيات، والإنترنت، كما هو الحال الآن.

يجب على كل زوجين أن يصارح كلٌّ منهما الآخر بما يحب ويكره من الآخر بكل وضوح، وعدم التحرُّج بعضهما من بعض فيما يطلبه من الآخر، خاصة في العلاقة الخاصة بينهما؛ ويجب تذكُّر قول الله: {وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ} [النساء: 21].

فما أروع هذا التعبير الرباني بكلمة أفضى التي توحي بالسرية التامة بين الزوجين، وفي نفس الوقت الوضوح الكامل في طلب كل طرف من الآخر! وعلى الزوج أن يُبادر بذلك ويُشجِّع زوجته على تعوُّد ذلك بينهما، هذا وبالله التوفيق.

المقال التاسع

التربية الناجحة للعفة في القصص القرآني

{تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ}

إن المتأمِّل في أحوال الأمة الإسلامية يلحظ ضعفًا شديدًا في الجانب الأخلاقيِّ في هذا العصر، فنحن نعيش في زمن مليءٍ بالفواحش والمغريات التي تدفع الشبابَ والفتيات إلى الوقوع في مستنقع الفساد والمنكرات: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} [الروم: 41].

لقد شاعت الفواحش شيوعًا لا يُنكره أحد، وأصبحت صناعة الفاحشة من أكبر الصناعات حول العالم، وأهلها من أكبر الأثرياء اليوم تحت غطاء الفن، وبسبب التطور الهائل في وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات وتطوُّر الفضائيات، أصبح لأهل الفاحشة الآن وأبناء التعري ألقابٌ وهالاتٌ؛ فهذا فنان قديرٌ، وهذه راقصةٌ كبيرة، وتلك أم المسرح، والأخرى ثروةٌ قوميةٌ؛ مما جعل منهم قدوة للكثير من الشباب والفتيات، وإنَّا لله وإنا إليه راجعون!

لقد فشِلت وسائلُ التربية في الأمة إلى حدٍّ كبير في مقاومة هذا المدِّ الجارف من سوء الأخلاق، وتدنِّي العفة في داخل الأمة، رغم وجود المؤسسات الدينيَّة التربويَّة والدعويَّة.

إن هذا الواقع الحياتيَّ يؤكِّد فشل عملية التربية لشباب وفتيات الأمة، فالواقع الحياتيُّ هو المقياس الحقيقي لنجاح أو فشل عملية التربية، وليست اختبارات الورقة والقلم مهما كانت درجاتها العالية.

فنحن في مجتمعنا العربيّ الإسلامي أصبحنا في حاجة إلى منهج أخلاقيٍّ لإعادة بناء أبناء الأمة، وتهيئة المناخ الصحيِّ لكل وليٍّ أمر على كل المستويات أن يخلعوا عن أنفسهم رداء السلبيَّة واللامبالاة، ويعملوا على وضع الأمور في نصابها الصحيح وسط هذا المناخ الضبابيّ، ويأخذوا على عواتقهم مسؤوليةَ التربية الأخلاقية التي تبني نسيج الأخلاق في مختلف ميادين الحياة، وتسمو بها على كلِّ ما نحن فيه، فلا يتركوا الحبل على الغارب لتدمير أخلاق الأمة بدعوى الحرية والتحضر؛ فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((أَلَا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُمْ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))؛ [متفق عليه].

إن هذا الواقع المؤلم يجعلنا نتلمَّس أسباب هذا الفشل، وكيفية علاجه في "التربية الناجحة للعفَّة" في القصص القرآني في قصة موسى مع بنتَي صاحب مدين أو شعيب عليه السلام كما هو شائع.

وهنا لا نسرد القصة كاملة، ولكن ما يهمنا هنا هو فقط الوقوف على نجاح تربية العفة عند الفتاتين في هذه القصة.

إن تربية ابنتَي صاحب مدين على العفة كانت تربيةً ناجحة بكلِّ المقاييس وبكلِّ المؤشِّرات، وأكبر دليل على ذلك أن الله عز وجل قد سرد لنا في القرآن الكريم قصتيهما؛ {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: 87]، {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: 122]؛ لنتعلم منها خُلُقَ العفة كما جاء في

واقع أحداث حياتهما في الحياة العمليَّة بطبيعتها الحقيقية دون تكلُّف أو تجمُّل أو تزييف عن الواقع، وهذا هو الدليل على نجاح تربيتهما تربيةً ناجحة بمقياس رب الكون ومليكِه.

هيا بنا لنرى بعين البصيرة نتائج هذا النجاح كما يحكي لنا القرآن الكريم.

{وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ} [القصص: 23 - 28].

1 - خروج الفتاتين وقيامهما بالعمل:

لقد خرجت الفتاتان وقامتا برعي وسقي الأغنام في بيئة رعوية مفتوحة، بها الكثير من الرُّعاة الآخرين، ولم يمنعهما من ذلك أنهما فتاتان، وفي نفس الوقت تحافظان على نفسيهما في وسط هذا الخضمّ من الناس والجلبة، وهذا هو المقياس الحقيقيُّ للحفاظ على العفة في هذه البيئة المفتوحة، في الواقع الحقيقي للحياة والمجتمع الذي تعيشان فيه.

إن التربية على العفة في بيئة تخالف بيئةَ المجتمع الحقيقيِّ تكون تربية غير ناجحة في الغالب، فبمجرد خروج الفتاة إلى المجتمع الحقيقي بعد التربية في بيئة مغلقة أو مصطنعة، لا تستطيع مواجهة المشكلات والمغريات التي تواجهها في الواقع الحقيقي، وهذا ما نلاحظه الآن في مجتمعاتنا.

فليس هناك مانع من خروج المرأة للعمل، ولكن بضوابط منهج الإسلام.

2 – تعامُل الفتاتين مع غيرهما من الرجال:

لقد امتنعت الفتاتان عن مزاحمة الرجال في سقي الأغنام، ولم تطلبا من أحدٍ من الرعاة أن يسقيَ لهما؛ حيث لم تجدا فيهم من يطمئن قلباهما له أو يَثِقْنَ فيه للتعامل معهما، فكانت عزلتهما عن الرعاة لحين انصرافهم، ولو وَجَدتا من الرعاة من هو في خُلق موسى، لفعلتا معه ما فعلتاه مع موسى عليه السلام، ولكن عندما تقدَّم إليهما موسى، وسألهما عن سبب وضعهما هذا، لم تتردَّدا في التحدث معه والاستجابة لتطوعه ليسقي لهما، فقد استشعَرتا فيه الخُلق القويم من مجرد حديثه معهما، فتفاعلتا معه بنفس الخلق في الحديث والتجاوب في العمل، وهذا هو خلق الإسلام.

فالإسلام لا يمنع النساء من التعامل مع الرجال لتحقيق أهداف نبيلة في الحياة بمنهج الله ولله، وما أحلاها وما أعظمها سورة النور "سورة العفة" وما بها من منهج تعامل النساء مع الرجال!

3 – إرسال والد الفتاتين إحدى ابنتيه إلى موسى:

لقد أرسل الرجلُ الصالح إحدى ابنتيه إلى موسى؛ لتدعوه إليه، والعجيب أنه لم يرسل الفتاتين معًا وهو الرجل الصالح، ولو كان في هذا التصرف خللٌ خلقيٌّ، لبيَّنَه لنا الله حتى نتجنَّبه، فالله عز وجل هو الذي يذكُرُ لنا هذا الحدث في قرآنه الكريم، وهذا يدل على عدم حرمة تعامل الرجال مع النساء بمنهج الله، كما أن هذا الموقف يدل على ثقة هذا الرجل في ابنته، وثقته في تربيته لها على العفة والخلق الكريم، وثقته فيما أبلغه بنتاه عن موسى، وقد يكون في نية هذا الرجل الصالح في إرسال فتاته هذه بمفردها هدفُ زواجه منها، كما ذكر بعض المفسرين، وهذا هدف حياتيٌّ نبيل فيه طهارة للبيت المسلم؛ ولذلك فهو هدف يحقق نجاح التربية على العفة في الحياة.

4 – سلوك الفتاة مع موسى عليه السلام عند عودتها إليه:

لقد كان في مظهر الفتاة ومشيتها ما أشاد به ربُّ العزة في قوله: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ} [القصص: 25]، ما أجملَ هذا التعبير الربانيَّ لوصف جمال عفة هذه الفتاة! إن رب العزة هو الذي يصف ويقول، ولو قال هذا بشرٌ، لاعتبرناه قدحًا وذمًّا، ولكنه إشادة من الخالق البارئ المصور، الذي أحسن كلَّ شيء خلقه، فهو خالق هذه الفتاة، وهو الذي يشيد بها، أيُّ عفة هذه؟!

ما أجمل التعامل بين الأطهار! {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [النور: 26].

وعندما حدَّثت الفتاةُ موسى، كان حديثُها معه بأمر من أبيها، ولهدف محدد، وبأسلوب واضح لا لبس فيه ولا خنوع.

هذا هو المطلوب في تعامل النساء مع الرجال في واقع الحياة؛ لذلك فهو سلوك ناجح بمقاييس الإسلام.

5 – طلب إحدى الفتاتين من أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام:

عندما جاء موسى عليه السلام إلى والد الفتاتين وقَصَّ عليه أحواله، طلبت إحدى الفتاتينِ من أبيها أن يستأجره {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ} [القصص: 26] دون أن تتردَّد ولا تتلعثم، ولا تخشى سوء الظن والتهمة، فهي بريئة النفس، نظيفة الحِس، ومن ثَم لا تخشى شيئًا، فهي ذات رأيٍ وفكر في حل المشكلات الحياتية بواقعية، وتعرض اقتراحها على أبيها وتشاركه همومه بإيجابية، وهذا هو النجاح الحقيقيُّ في الحياة التي خلقنا الله أن نحياها عبادة له، على منهجه، ومرضاة له.

إنها تحل مشكلتها وأختها حيث تعانيان من رعي الغنم، ومن مزاحمة الرجال على الماء، وتحل مشكلة موسى عليه السلام أيضًا، من أجل أن يجد له مأوى ومعاشًا، وقد تعبر أيضًا عن رغبتها في موسى عليه السلام للزواج منه على منهج الله ولله.

أيُّ نجاحٍ هذا للتربية في واقع الحياة التي يريدها الله للبشرية أن تحياها؟! مع كل المتناقضات التي يراها البعض في هذه المواقف، فهذه هي الحياة بأبعادها المختلفة التي قد لا نستوعب أسرارها ومغزاها، إنها هي الاختبار الحقيقي لما بعدها، من الخلود في الجنة أو النار.

6 – طلب الأب من موسى أن يزوِّجه إحدى ابنتيه:

لقد استشعر الوالد رغبةَ ابنته في الزواج من موسى عليه السلام، فلم يتردد في تحقيق ذلك؛ لِما وجد من صلاح موسى عليه السلام، وحلِّ كثير من مشكلات الحياة للأطراف المختلفة، له ولابنتيه ولموسى بهذا الزواج، إنها الحياة بما فيها من مشكلات متداخلة، ومطلوب حلها بمنهج الله ولله؛ {قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ} [القصص: 27]، إنه لم يتردد في طلب ذلك من موسى عليه السلام، ولم يخجل من ذلك، ولم يعتبره عيبًا أخلاقيًّا، كما هو الحال بمقياس الكثير الآن، بل إن العيب هو الخروج على منهج الله، ويجب أن يكون الخجل منه؛ {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ} [النساء: 108].

إن في تحقيق هذا الطلب تحقيقَ العفة لابنتيه ولموسى عليه السلام، وتطبيقًا لمنهج الله في الواقع الحياتي، فهذا هو النجاح في الدنيا والآخرة.

7 – طلب الأب من موسى عليه السلام أن يَأجُرَه ثماني حجج، فإن أتمهم عشرًا فيكون تطوعًا منه، مقابل زواجه من ابنته:

قال الرجل الصالح لموسى عليه السلام: كلُّ ذلك بشرط أن تكون أجيرًا لي ثماني سنين، ترعى فيها غنمي، {عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} [القصص: 27]؛ أي فإن أكملتها عشرَ سنين فذلك تفضُّل منك، وقد يظن البعض – وأنا كنت منهم (الكاتب) – أن في هذا الطلب (طول المدة) إجحافًا وغبنًا لموسى

عليه السلام، ولكن بالرجوع إلى حالة موسى عليه السلام، نجد أنه طريد، وليس له مكان يَأويه ويشعر فيه بالأمان، ومن ثَم فإن طول مكوثه مع هذا الرجل الصالح، وزواجه من ابنته، فيه الأمان والراحة النفسية له، ففي هذا مصلحة لكل الأطراف، وحل واقعيٌّ لمشكلاتهم معًا.

وبعدَ هذا التحليل لنجاح التربية في مجال العفة الذي وجدناه في منهج الله الذي عرضه علينا القرآنُ الكريم في هذا القصص الرائع، لم يبقَ لنا إلا أن نتبع نهج هذه التربية لبناتنا، ولا نتركهنَّ لغيرنا لتربيتهن على منهج الشياطين من الإنس الذين تفوَّقوا على شياطين الجن.

المقال العاشر

ظلال الحب كله في (العلاقة بين الرجل والمرأة)

سبق أن تناوَلْنا في السابق أن المجتمعَ المسلم نسيجٌ اجتماعي، يجب أن تسُودَه المحبةُ الكلية النابعة من حب الله تعالى، هذا الحب الذي يغشى الأمة بالسعادة والمودة، والرحمة والألفة؛ نتيجة تطبيق منهج الخالق العالم بصلاح المجتمع ونسيجه الاجتماعي، فقد حدَّد الخالق طبيعة عَلاقة النسيج الاجتماعي بين كل عناصر المجتمع وأفراده؛ {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام: 38]، وهنا نتناول جزءًا هامًّا من نسيج المجتمع، وكيف يظله الحبُّ كله.

العلاقة بين الرجل والمرأة:

إن نسيج المجتمع يبدأ بالعَلاقة الشرعية التي أرادها الخالق للبشرية؛ حيث قال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1]، فلقد بدأ هذا النسيج الاجتماعي من نفس واحدة؛ دلالةً على وحدة هذا النسيج وترابطِ أواصره، ويؤكد ربُّ العزة على نوع الرابطة بين طرفَي هذا النسيج في منبته الأول، بقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الروم: 21]، هذه المودَّة وهذه الرحمة التي تنبع من النبع الصافي؛ مِن الحب الكلي الذي هو لله عز وجل.

لقد كفل الإسلام العدلَ بين الرجل والمرأة، فقد كلف كلًّا منهما حسب طبيعته وقدراته واستعداداته التي خلقه الله بها، فلم يكلِّف الإسلام المرأة بالعمل الشاقِّ والسعي على الرزق مثل الرجل، إلا في حالات الضرورة القصوى عندما لا تجد مَن يعولها، فليس من العدل أن تُطالَب المرأة بالخروج للعمل مساواةً مع الرجل، وهي التي خصَّها الله عز وجل بالحمل والولادة ورعاية الأطفال؛ من رضاعة وحنان ونظافة، فمن الظلم أن نطالبها بالعمل خارج منزلها وهي تقوم بكل هذا، ولكن من العدل أن يتكفَّل الرجل بالعمل والسعي للإنفاق عليها وعلى الأطفال؛ وهنا يقول الله عز وجل: {وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ} [البقرة: 233].

ولقد ذهب الإسلام في عدله أن كلف الوارثَ النفقة على المرأة في حالة عدم وجود المولود له.

وإذ كان الرجل مكلَّفًا بالإنفاق على المرأة وعلى بيته وأولاده، كان عدل الله عز وجل في أن يكون نصيبُه في الميراث ضِعفَ نصيب المرأة، فما يأخذه الرجل من الميراث ينفقه على الزوجة والأولاد، فبذلك يعود إليها مرة أخرى في صورة النفقة عليها من زوجها أو أبيها، أما النصف الذي تأخذه من الميراث، فلم يكلِّفها الشرع أن تنفق منه على أحد، إلا على نفسها في حالة عدم وجود مَن يعولها.

كما أن الإسلام لم يُكلِّف المرأة بالخروج للعمل والسعي على الرزق مثل الرجل، إلا في حالات الضرورة، وتكليف الرجل بالإنفاق عليها فيه العديد من المزايا لها وللرجل في نفس الوقت؛ ففيه حفاظٌ على أنوثة المرأة ورقَّتها وعاطفتها التي تعتز بها المرأة، وتختص بها كما خلقها الله، والتي يريدها الزوج

منها أيضًا؛ لتكون سكنًا له بأنوثتها ورقتها وعاطفتها، وهو سكن لها بالإنفاق عليها والحفاظ على كرامتها، {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة: 187]، فبهذا تتولَّد المحبة والمودة والرحمة بينهما.

كما أنه من عدله أن جعل القوامة للرجل على المرأة؛ {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ} [النساء: 34].

فأوضحت الآية سببَ هذه القوامة للرجل على المرأة، فهو المكلّف بالإنفاق، كما أنه أكثر تعقلًا واتّزانًا من المرأة التي خصَّها الله بالعاطفة، وهذه الأسباب هي نفسها التي أدَّت إلى أن جعل الله تعالى شهادة الرجل مقدَّمة على شهادة المرأة، وفي حالة عدم توفر رجلينِ للشهادة، فتكون شهادة المرأتين بشهادة رجل واحد: {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى} [البقرة: 282].

كما قدَّم الإسلام حسنَ مصاحبة الولد لأمِّه على أبيه، فعندما جاء رجل إلى رسول الله يسأله: ((مَن أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمُّك قال: ثم مَن؟ قال: أمك، قال: ثم مَن؟ قال: أمك، قال: ثم مَن؟ قال: أبوك))؛ [البخاري].

كما حث الإسلام على أخذ رأي المرأة فيمَن تتزوَّجه وعدم إكراهها على الزواج من أحد؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تُنكح الثيب حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن، وإذنها الصموت))؛ [الترمذي]، ومهر المرأة فريضة على الرجل؛ قال تعالى: {فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً} [النساء: 24]، والتعامل معها في جميع الأحوال لا بد أن يكون بالمعروف؛ قال تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ

بِالْمَعْرُوفِ} [النساء: 19]، وقال: {فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا} [البقرة: 231].

كما أن زواج المرأة لا بد أن يكون موثقًا بعقد غليظ؛ للحفاظ على حقوق المرأة التي لها عند الرجل، والدولة هي المسؤولة عن تنفيذ هذه الحقوق على الرجل، وهذا لا يتوفر في غالب الدول غير الإسلامية؛ حيث يعاشر الرجل المرأة وينجب منها الأولاد، وهي ليست زوجة له، بل تُسمَّى (صاحبته)، وليس عليه أي تكاليف للإنفاق عليها وعلى الأولاد، بل تتكفل هي بكل هذا، وله فقط أن يستمتع بها، وهذا هو شأن دول الكفر، التي تدَّعي أنها دول حضارية، وأنها صاحبة حقوق الإنسان وحريته.

ونتيجة فَقْدِ المرأة في الغرب لِمَن يعولها وأولادها، خرجت إلى العمل مرغمة، ورغم هذا فهي تأخذ نصفَ راتب الرجل في نفس العمل، كما استغلَّها الرجل استغلالًا قذرًا، فهو يقدمها في بعض الأعمال على الرجل، وبخاصة في المتاجر والسفارات والقنصليات، وفي أعمال الإذاعة والتليفزيون ونحوها، فيجب ألا نغفل عن المعنى الكريه الخبيث في هذا التقديم، إنه معنى النخاسة والرِّق في جوٍّ من دخان العنبر والأفيون، إنه استغلال للحاسَّة الجنسية في نفوس الزبائن، فصاحب المتجر مثل الدولة التي تُعيِّن النساء في السفارات والقنصليات، كشركة السياحة التي تعين مضيفات، وكصاحب الجريدة الذي يدفع المرأة ويعرف كيف تحصل المرأة على النجاح في هذه الميادين، ويعلم ماذا تبذل للحصول على هذا النجاح! فإن لم تبذل هي شيئًا – وهذا فرض بعيد – فهو يدرك أن شهوات جائعة وعيونًا خارقة

تلتفُّ حول جسدها وحول حديثها، وهو يستغل ذلك الجوع للكسب المادي والنجاح الصغير؛ لأن المعاني الإنسانية منه بعيدة بعيدة!

ومن هنا كثر الاعتداء على المرأة التي أصبحت سلعةً، مع اغتصابها واغتصاب حقوقها في دول الغرب، مما دعا بها إلى أن تُنادي بالمساواة بالرجل، وللأسف فقد انخدَعَت الغافلات في بلادنا بما تنادي المرأة في الغرب، ولم تعرف السبب الذي مِن ورائه كانت هذه المناداة، فالمرأة في الغرب تنادي بأن يكون لها حقوق كما للمرأة عندنا، والمرأة عندنا تنادي بأن يكون حالها مثل حال المرأة في الغرب، ويا لها مِن غرابة!

لقد خرجَتِ المرأة في الغرب لتعملَ مِن أجل أن تأكل وتعيش، فلما رأَتِ الإجحاف والظلم طلبَتِ المساواة في الأجور، فلما لم تستطع - لأن القوانين التي تحكم المجتمع مِن صنع الرجال، وليست كما في الإسلام مِن صنع الله تعالى، الذي يعدل بين الرجل والمرأة - طالبَت بحق التصويت ودخول المجالس التشريعية والنيابية؛ ليكون لها صوت في هذه المجالس؛ لعلها تحصل على حقوقها.

إن الإسلام ينظر إلى الحياة نظرةً متناسقة، فللرجل وظيفته، وللمرأة وظيفتها، وكلاهما يسهم في تنمية الحياة وترقيتها وَفْقَ شرع الله تعالى.

وإن المرأة في مجتمعنا المسلم تخطئ اليوم في حقِّ نفسها، وزوجها، وأبنائها، ومجتمعها، وربها، عندما تحطُّ مِن قيمة وظيفتها الأساسية كمربية لأبنائها، وراعية لزوجها وبيتها، وعندما تنظر إلى هذه الأعمال على أنها دُونية، لا تليق بها ولا تتفق مع قدراتها وإمكانياتها، فتنشئةُ الطفل السعيد الناجح الفاضل ذي

الخُلُق العظيم – عملٌ أعقد وأدق وأهم بكثير جدًّا من عمل مهندس في محطة للفضاء، أو خبير في معمل أبحاث، أو طبيب ناجح؛ فبناءُ الإنسان أعقدُ وأعظم من بناء المصانع، ومَن يرَ غير ذلك فعليه أن ينظر إلى حالة الفوضى والضياع التي صار إليها أطفال وشباب هذا الجيل، الذين هم نتاج المرأة الموظفة، فقد انتشر بينهم تعاطي المخدِّرات، وحوادث الاغتصاب، والسرقة والقتل، والأمراض النفسية والعصبية، وكل هذا نتيجة حرمانهم من عاطفة الحب والحنان، والعناية والرعاية من جانب الأمهات؛ لانشغالهن بالوظيفة.

وهذا لا يعني أن الإسلام يمنعُ المرأة مِن العمل خارج المنزل، فهناك مِن الأعمال التي يجب أن تقوم بها المرأة مثل تعليم بنات جنسها، والرعاية الصحية والطبية لهن، وأيُّ عمل شرعي تقوم به المرأة خارج منزلها ويناسب طبيعتها – لا حرج فيه، على ألَّا يكون فيه اختلاط بالرجال، ويكون خروجها آمنًا، وليس على حساب دَورها كرَبَّة أسرة.

وعلى ذلك لا بد أن نربي أولادنا في مناهجنا التعليمية على ما يلي:

1- تعريف التلاميذ بالخصائص التي اختص بها الله تعالى الرجلَ بخلاف المرأة، والخصائص التي اختص بها الله المرأة دون الرجل، والأدوار الاجتماعية والحياتية التي تخص كلًّا منهما نتيجة اختلاف الخصائص، وأن هذا الاختلاف في الأدوار يحقق تكامل كل منهما للآخر في الحياة، وهي سنة الله تعالى في الخلق، وليس تفضيلًا لأحد على الآخر.

2- تعريف التلاميذ حقوق وواجبات كل مِن الرجل والمرأة تجاه الآخر، التي شرعها الله تعالى، وأنه يجب احترام كل واحد منهما للآخر طبقًا لخصائصه.

3- تعريف التلاميذ بما يُحاك لأمتِنا من الدول غير الإسلامية، لإفساد المجتمع بالخروج عن الأدوار الخاصة بكل جنس، وإفساد الفطرة التي فطر الله الرجل والمرأة عليها، وبيان أساليب أعوان الشيطان في ذلك، وما تبثُّه وسائل الإعلام المختلفة بهذا الخصوص، وبما يسمَّى تحرير المرأة.

4- تعريف التلاميذ بأن الإسلام قد شرع للرجل والمرأة حقوقًا لم توجد في أي مجتمع غير مسلم، وبيان أهمية التمسُّك بما شرعه الإسلام بهذا الخصوص.

5- تعويد التلاميذ من الجنسينِ على المحافظة على العادات والتقاليد والقيم الإسلامية الخاصة بالجنسين داخل المدرسة وخارجها، وأن يكون المعلم أو المعلمة قدوةً حسنة للتلاميذ والتلميذات في السلوك والمظهر، والعادات والتقاليد والقِيم الإسلامية.

6- الاهتمام بالتربية الأسرية وعَلاقة أفراد الأسرة بعضهم ببعض في ضوء القرآن والسنة.

كما يجب على وسائل الإعلام أن تقوم بدورها في هذا المجال؛ لتحقيق ترابط نسيج المجتمع من طرفيه (الرجل والمرأة)، بدلًا من أن تكون هي المِعْوَلَ الذي يُفتِّتُ أواصر المجتمع ببثِّ ما يخالف ذلك.

المقال الحادي عشر

التربية الجنسية ضرورة شرعية وحاجة تعليمية

قد نُدرك أهمية التربية الجنسية عندما نُشاهد المشكلاتِ الاجتماعيةَ المصاحبة للزواج والطلاق، والانحرافات الجنسية والأمراض المصاحِبة لها، وخاصة ما ظهر منها حديثًا "مرض الإيدز"، وما أدراك ما هذا المرض؟!

إن معظم الخلافات الزوجية تَرجع في أساسها إلى جهل كلِّ طرف مِن أطراف الأسرة؛ الزوج والزوجة، بخصائص الطرفِ الآخر التي فطَره الله عليها، وما واجبُه الشرعيُّ تجاه الطرف الآخر، فنَجد أن هذا هو السبب الرئيس والدفين في هذه الخلافات، ولا يَبوح أيٌّ من الطرفين صراحةً بهذا السبب، ثم تَتوالى الخلافات وتتفاقَم، وتدورُ رحى الخلافات في حلقة مُفرغة لا نَعرِف لها نهاية، ويكون أثرها مُدمِّرًا للأسرة ومِن ثمَّ المجتمع.

وتزداد الحاجة الماسَّة إلى التربية الجنسية في هذا الوقت خاصة؛ لما نراه الآن في وسائل الاتصال الحديثة ووسائل الإعلام التي تصل إلى كل بيت، وما فيها من إغراءات جنسية، ونشر الفساد والفحشاء الجنسي دون رقيب من أحد، ناهيك عن دُور النشر الرخيصة التي تقذف إلى السوق السوداء بفيض من المطبوعات المثيرة، والمنشورات الخاطئة، والمعلومات المضلِّلة، كما أن هناك سوقَ الإشاعات والأحاديث الهامسة، والخرافات الشائعة، والمبالَغات الطائشة، فإنها تجري في تيارات خفيَّة خطيرة لا

يعلم مدى خطورتها إلا الذي تُتاح له الفرصة لسماع مشاكل الناس وهموم الشباب، والاطِّلاع على أمراضهم وانحرافاتهم.

إن إحاطة الجنس بالكثير من التكتُّم والتزمُّت، والقيود والخرافات والإشاعات، وجعْلَ الحديث عنه أمرًا (مستنكرًا) أو (مُشكلًا)، أعطى مثلَ هذه الوسائل المغرضة والإشاعات والأمراض الفرصةَ للانتشار؛ لذلك كانت التربية الجنسية حاجة ماسَّة وضرورة تعليمية.

إن هناك جهاتٍ عالميةً ومحلية تعمل ليلَ نهارَ على نشْر هذا الفساد في المجتمعات الإسلامية، وتُخصِّص لها الإمكاناتِ الماليةَ والعلمية والبشرية، ويتمُّ إنشاء مؤسسات تعمل في هذا الإطار تحت أسماء رنَّانة خادعة للكثير، وما كَيدُ بني صهيون والمتصهينين وأعوانهم بقليلٍ، وللأسف لا يُقابَل هذا بما يُناسبه من فكر وعلم وإمكانيات ومسؤوليات من الجميع، رغم خطورة ذلك على الأفراد والأُسَر والأمة الإسلامية.

المقصود بالتربية الجنسية:

يُقصد بالتربية الجنسية تعليم الفرد تدريجيًّا الخصائصَ الفطريَّة التي تخصُّ كلَّ جنس من الجنسين في مراحل النموِّ المختلفة، وكيفيَّة التعامل مع هذه الخصائص، والدَّور المنوط بكل جنس في الحياة بما وهَبه الله من خصائصَ فطريةٍ، وآداب التعامل بين الجنسين وَفْق هدى الله، حتى إذا شبَّ الولد وترعرع، عرَف ما يحلُّ أو ما يحرُم، وأصبَحَ السلوك الإسلامي المتميز خُلقًا له وعادة، بلا كبت ولا انحلال.

إن التربية الجنسية هي أحد جوانب التربية في الإسلام منذ مجيء الإسلام، وإن كان هذا الجانب في التربية أصبح على عهد قريب من فروع التربية المعترف بها في كل بلاد العالم الآن، مع الفارق في الهدف منه في الإسلام وفي غيره من المناهج الأخرى.

فلقد فرَّقت فطرة الله بين الرجل والمرأة في كثير من الخصائص؛ لذلك كانت هناك حاجةٌ ماسَّة لمعرفة هذه الخصائص وكيفية التعامل معها، وتتَّضح هذه الفروق والتعامل معها منذ اللحظة الأولى لقدوم الطفل إلى الحياة، وهذا يتَّضح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بَولُ الغلام يُنضَح عليه، وبول الجارية يُغسل))؛ [ابن ماجه].

لقد تناول القرآن الكريم والأحاديث الشريفة التربيةَ الجنسية بأسلوب الوسطية؛ حيث تمَّ تناولُها بما يناسب حاجات الإنسان فيها، ويضَع لها ضوابطها، دون كبْت أو استقذار لها، فهي حاجاتٌ أصيلة في النفس الإنسانية، لها دورها في الحياة، بل وتمَّ الوصول بها إلى درجة التسامي لتكون عبادةً؛ حيث قال رسول الله صلى الله علية وسلم: ((وفي بُضع أحدكم صدقةٌ))؛ [مسلم]، وقال: ((ما مِن مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغضُّ بصره، إلا أحدَثَ الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه))؛ [مسند أحمد]، وهذا يبيِّن لنا واقعية الإسلام في معالجة التربية الجنسية بأسلوب يناسب الفِطرة، ولا يُفسدها بالكبت أو الإثارة.

من هنا يجب أن تشمل مناهجُنا التعليمية هذا النوعَ من التربية بما يُناسب المراحل العمرية المختلفة، كما يجب تعليم الآباء والأمهات كيفية التعامل مع الأبناء في هذا الجانب.

لذلك يجب أن تتناول التربية الجنسية في المناهج التعليمية ما يلي:

1- الخصائص الفطرية لكل جنس في النواحي المختلفة: الفسيولوجية والنفسية، والانفعالية والاجتماعية، والأحكام الخاصة بها في كل مرحلة عمرية، خاصة مرحلة المراهَقة والبلوغ.

2- الأدوار الاجتماعية لكلِّ جنس بما يتناسب مع فطرته التي فطَرَه الله عليها، دون مُزايَدة أو إجحاف لجنس على جنس.

3- آداب التعامل بين الجنسين؛ وتشمل: آداب النظر، وآداب الاستئذان، وآداب الزواج، والتفاعل الزوجي.

4- وسائل الإفساد وأثرها السيِّئ على الجنسينِ وكيفية تجنُّبها؛ مثل: السينما والمسرح، ووسائل الاتصال المختلفة كالإنترنت، والقنوات الفضائية، والمجلات الماجنة، وأزياء النِّساء الفاضحة، والمظاهر الخليعة، والصُّحبة السيئة، واختلاط الجنسين.

5- الانحرافات الجنسية وعواقبها السيئة في الدنيا والآخرة، والأمراض المصاحِبة لها ومَخاطرها؛ مثل: الإيدز، والزهري، والسيلان.

على أن نُراعي في تقديم ذلك ما يُناسب كلَّ مرحلة عمريَّة، وبالأسلوب الذي يُناسب إدراك المتعلِّم في هذه المرحلة، مع الأخذ بالقاعدة العامة القائلة بأن الوقاية خيرٌ من العلاج، فيجب أن يتمَّ تعليم الحقائق والأحكام الشرعية المتعلِّقة بالنواحي الجنسية للمرحلة العمرية قبيل وصول المتعلِّم إليها.

كما يجب استخدام أسلوب المصارَحة والوضوح في تعليم قضايا الجنس؛ مثل أحكام البلوغ، وإرهاصات البلوغ، حتى إذا ظهرت على المتعلِّم عرَف ما وجب عليه فعلُه وما وجب عليه تركُه؛ أي: عرَف الحلال والحرام في ذلك، كما يتمُّ تعليم القضايا المتعلِّقة بالزواج والعلاقات الزوجية قبل القدوم على الزواج.

المقال الثاني عشر تمايز النساء عن الرجال

"خلقن من ضلع أعوج ناقصات عقل ودين"

نعم، تمتازُ النساء عن الرجال في كثير من الخصائص الفطريَّة التي جبَل الله النساءَ عليها؛ لتكتملَ أنوثتُهن، وليَكُنَّ مزيَّناتٍ للرجال بفطرتهن كما شاءت إرادةُ الخالق البارئ المصور: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آل عمران: 14].

لقد جاء ذكرُ هذا التميز في بعض الأحاديث النبوية المطهَّرة؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: ((المرأة كالضلع، إن أقمْتَها كسرتَها، وإن استمتعتَ بها استمتعت بها وفيها عوجٌ))، وفي رواية أخرى للبخاري كذلك: ((استوصوا بالنساء خيرًا؛ فإنهن خُلِقْنَ من ضلع، وإن أعوجَ شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبتَ تُقيمُه كسرتَه، وإن تركتَه لم يَزَلْ أعوجَ، فاستوصوا بالنساء خيرًا)).

قد يظنُّ بعض الأزواج - جهلًا - أن في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن المرأة خُلِقت من ضلع أعوج - عيبًا فيها، ونقيصة يجب إصلاحها، وقد يذكُرُ الرجل ذلك لزوجته للتقليلِ من شأنها وإذلالها بذلك، والسخرية والاستهزاء بها!

ولكن هذا الفهم لهذا القول هو عينُ العيب والنقيصة؛ ففي الحقيقة أن خَلْقَ المرأة من ضلع أعوج هو الكمالُ كلُّه في خلقها، اقرأ قول الله تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4]، فليس فيما خلَق الله نقصٌ.

إن الخالق هو الله، ألم تقرأ: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} [التين: 4]؟

من هنا؛ فإن العوجَ صفةُ مدح، وليس صفةَ ذمٍّ للمرأة؛ إذ إن هذا العوج في حقيقته هو استقامةُ المرأة لمهمَّتها، وليس العوج في الحديث مرادًا به الفساد في طبيعة المرأة؛ لأن عوجَها هذا هو صلاحها لأداء مهمتها، فالمرأة من وظائفها أن تتعاملَ مع الأطفال، والأطفال في حاجة إلى الحنان والعطف الشديد، وليسوا في حاجة إلى التعامل معهم تعاملًا يغلب عليه العقلُ، بل هم في حاجةٍ إلى تعامل تغلبُ فيه العاطفة على العقل؛ حتى يمكن تحمُّل السهر والبكاء، ومتاعب الأطفال، التي لا يُعرَف لها سببٌ أحيانًا.

فلا يظنَّ بعض الجاهلين في عقولهم أنهم سيُصلحون ما خلقه الله؛ فالحديث يشير إلى أن الخللَ هو في عقول هؤلاء الذين يريدون تغييرَ ما أبدعَه الله في خلق المرأة، فهذا الضلع الأعوج هو الذي يميِّز المرأة على الرجل.

فإن أراد هذا الجاهلُ تغييرَ هذا الاعوجاج - كما يتصوَّر هو في عقله - يكون بهذا العمل قد أفسد كمالَ خلق الله للمرأة، وأصبحت غير صالحة للمهمة التي خُلقت من أجلها ((إن أقمتَها كسرتَها))،

((فإن ذهبتَ تُقيمه كسرتَه))، أما وضعها كما خلقها الله، ففيه مصلحة الزوج ((وإن استمتعت بها استمتعتَ بها وفيها عوجٌ))، هذا خلق الله الخالق البارئ المصور.

لقد جاء وصف المرأة بأنها خُلقت من ضلع أعوج في سياق توصيةِ نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم للأزواج بأن يُحسنوا تعاملهم مع زوجاتهم: ((استوصوا بالنساء خيرًا))، ولا يكلفوهن بما لا يتناسبُ مع طبيعة خلقِهن التي فطرهنَّ الله عليها، فهذا وصفٌ بالمقارنة بالرجال، وليس هذا حكمًا على العموم.

فللمرأة فطرة مختلفة عن فطرة الرجلِ بما يتناسب مع المهام التي خُلِقت من أجلها، وللرجال فطرة تختلف عن فطرة النساء بما يناسب التكاليفَ المنوطة بهم من خالقهم؛ {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} [آل عمران: 36]، فلا يَقِسِ الرجل تكاليفَه التي كلفه الله بها كرجلٍ بتكاليف زوجته التي كلَّفها الله بها.

{وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [النساء: 32].

فتكاليفُ الله لكل طرف منهما هو عدلُ الله لهما، ويجب علينا ألَّا نُخالِفَ عدلَ الله؛ {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: 228].

وقد جاء في حديث رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري ومسلم عن تمايز النساء عن الرجال في التكاليف الشرعيَّة والخصائص الفطرية، والذي رواه الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال: ((خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطرٍ إلى المصلَّى، فمرَّ على النساء، فقال: يا معشر النساء، ما رأيت من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أذهَبَ للُبِّ الرجل الحازم من

إحداكن، قلن: وما نقصانُ دينِنا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادةُ المرأة مثلَ نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصانِ عقلها، أليس إذا حاضَتْ لم تُصلِّ ولم تَصُمْ؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها)).

وهنا يحدِّد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث طبائعَ النساء، وما اختصهن الله به من تفوُّقِ العواطف على العقل، على العكس من الرجل الذي يتفوَّق فيه العقل على العواطف.

فالحديث يشير إلى غلبة العاطفة والرقَّة على المرأة، وهي عاطفةٌ ورقَّةٌ صارت "سلاحًا" تغلبُ به هذه المرأة أشدَّ الرجال حزمًا وشدة وعقلًا، وفى هذا التمايز حكمةٌ بالغة؛ ليكون عطاءُ المرأة في ميادين العاطفة بلا حدود.

فهو مدحٌ للعاطفة الرقيقة التي تذهبُ بحزم ذوي العقول والألباب، ويا بؤسَ وشقاء المرأة التي حُرمت من شرف امتلاك هذا السلاح الذي فطر الله النساء على تقلُّده والتزين به في هذه الحياة!

إنهن يَغلِبْنَ بسلاح العاطفة وسلطان الاستضعاف أهلَ الحزم والألباب من عقلاء الرجال، ويخترِقْنَ بالعواطف الرقيقة أمْنعَ الحصون! ((ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودينٍ أذهَبَ للُبِّ الرجل الحازم من إحداكن)).

وبِناء على هذا الوضع الطبيعيِّ المعروف من قِبَل الجميع، أمرنا الرسولُ صلى الله عليه وسلم بالتعامل مع النساء بما يلائمُ طبائعَهن، والتصرُّف معهن على أساس أنهن الجنسُ الناعم، وقد خلقهُنَّ الله كذلك

بمشيئته لدواعٍ خاصة، مما يتوجَّب على الرجال مراعاةُ الرِّفق في التعامل مع النساء دائمًا، وبالأسلوب الجميل.

فللرجلِ دائرتُه، وللمرأة دائرتُها، والحياة لا تستقيمُ إلا بتكاتف النوعَيْنِ فيما ينهض بأمَّتِهما، فإنْ تخاذلا أو تخاذلَ أحدُهما انحرفت الحياة الجادَّة عن سبيلها المستقيم؛ فما زاد في المرأة نقص من الرجل، وما زاد في الرجل نقص من المرأة.

ولذلك؛ فمن المهم أن يكون لدى كلٍّ من الرجل والمرأة درايةٌ كافية بطبيعة الرجل وطبيعة المرأة، وبذلك يسهلُ على كلٍّ منهما التعاملُ مع الطرف الآخر في ضوء خصائص كلٍّ منهما، فعندما يعرف الرجل أن المرأةَ مخلوق مشحونٌ بالمشاعر والأحاسيس والعواطف، فإنه يستطيع أن يتعاملَ معها على هذا الأساس، وبالمِثْل إذا عرفَتِ المرأة طبيعة الرجل، فإن هذا سيساعدُها أيضًا على التعامل معه.

وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: ((إنما النساء شقائقُ الرجال)؛ [رواه أحمد، وأبو داود، وصحَّحه الألباني].

فالمرأة في الإسلام شقيقةُ الرجل؛ لها ما له من الحقوق، وعليها من الواجبات ما يلائمُ تكوينَها الفطري، وعلى الرجل ما اختصَّ به لجَلَدِه وقوته؛ فهو الذي يلي القوامةَ، ويحمي المرأة، ويدافع عنها ولو بدمِه، وهو الذي ينفق عليها من كدِّ يمينه وعرقِ جبينه.

فإن المرأة شقيقةُ الرجل، وهما يقومان بالحياة كلِّها، ولكل واحد منهما من الوظائف ما لا يطيقُه الآخر، ويشتركان في وظائف كثيرة.

المحتويات

المقال الأول: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} [الأعراف: 189]..... 3

المقال الثاني: همسة في أذن الأزواج 7

عاشروهن بالمعروف؟ وإن لم توجد المودة والحب "ما يغفل عنه الأزواج" 10

المقال الرابع نصائح نبوية للأزواج للتعامل مع زوجاتهم تصحيح فهم الرجال..... 14

المقال الخامس: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ} والسعادة الزوجية..... 23

المقال السادس: فقه أولويات الزوجة أُمُّ سُلَيْم أفضل ما تكون الزوجة لزوجها..... 25

المقال السابع العلاقة الزوجية بين الجهل والتسيب 31

المقال الثامن الخلافات الزوجية: المشكلة والحل..... 35

المقال التاسع التربية الناجحة للعفة في القصص القرآني 40

المقال العاشر ظلال الحب كله في (العلاقة بين الرجل والمرأة) 48

المقال الحادي عشر التربية الجنسية ضرورة شرعية وحاجة تعليمية 55

المقال الثاني عشر تمايز النساء عن الرجال 60